

برنامج أنوار كاشفة

أقوال المسيح

الحلقة السادسة والأربعون

أهلاً ومرحباً بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

هل تساءلت مرة مستمعي عن حقيقة شخصية المخلص يسوع المسيح؟ وما هي نوعية طبيعته الإلهية والبشرية؟ هناك الكثيرون من طرحوا هذه التساؤلات وحاولوا الإجابة عنها، لكن إجاباتهم في أحيان كثيرة لم تكن صحيحة أو دقيقة. وبما أن هذا الموضوع مهم جداً علينا أن نتحدث عنه. هل تعلم صديقي أن المخلص المسيح سبق له أن طرح هذه التساؤلات على تلاميذه فنقرأ ما يلي في الإنجيل المقدس:

وَلَمَّا جَاءَ يَسُوعُ إِلَى نَوَاحِي قَيْصَرِيَّةِ فِيلِبُّسَ سَأَلَ تَلَامِيذَهُ قَائِلاً: «مَنْ يَقُولُ النَّاسُ إِنِّي أَنَا ابْنُ الْإِنْسَانِ؟» فَقَالُوا: «قَوْمٌ: يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ، وَآخَرُونَ: إِيلِيَّا، وَآخَرُونَ: إِزْمِيَا أَوْ وَاحِدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ». قَالَ لَهُمْ: «وَأَنْتُمْ، مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟» فَأَجَابَ سَمْعَانُ بَطْرُسُ وَقَالَ: «أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ!». فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «طُوبَى لَكَ يَا سَمْعَانُ بَنَ يُونَا، إِنَّ لَحْماً وَدَمًا لَمْ يُعْلِنَنَّ لَكَ، لَكِنَّ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» (بشارة متى ١٦: ١٣-١٧).

لقد كان أمراً طبيعياً أن يطرح المخلص المسيح هذا السؤال على تلاميذه: «مَنْ يَقُولُ النَّاسُ إِنِّي أَنَا ابْنُ الْإِنْسَانِ؟» فهو لم يكن إنساناً عادياً ولا حتى نبياً كباقي الأنبياء. وهو بالطبع كان يعلم ماذا يفكر الناس عنه، لكنه أراد أن يبحث الموضوع مع تلاميذه ليكشف لهم حقيقة شخصيته وماهيتها. أما إجابة التلاميذ عن هذا السؤال فلم تكن غريبة. فالناس في أيام المسيح كانوا أيضاً منقسمين حول حقيقة شخصية المسيح. فالبعض ظنوا أن المسيح هو نفسه يوحنا المعمدان أي النبي يحيى، وآخرون ظنوا أنه النبي إيليا، أو النبي إرميا، أو واحد من الأنبياء. لكن كل هذه الإجابات لم تكن صحيحة. سنتابع حديثنا حول هذا الموضوع الهام.

صديقي المستمع، لعلك تتساءل إذا لم يكن المسيح واحداً من الأنبياء فمن تراه يكون هو؟ ولهذا تابع المسيح طارحاً نفس السؤال على تلاميذه: «وَأَنْتُمْ، مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟». وهنا أجابه الرسول بطرس المعروف بجرأته قائلاً: «أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ!».»

فما كان من المسيح إلا أن امتدحه قائلاً: «طُوبَى لَكَ يَا سَمْعَانُ بَنَ يُونَا، إِنَّ لَحْمًا وَدَمًا لَمْ يُعْلَنَ لَكَ، لَكِنَّ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ». أي يا لغبطتك أو يا لسعادتك، لأن الله الآب في السموات هو الذي أعلن لك هذه الحقيقة الهامة عن شخصيتي، وليس أي إنسان.

أجل، يا صديقي إن هذه الحقيقة عن شخصية المخّص المسيح ليست من استنتاج أو معرفة أي شخص، ولا يستطيع التوصل إليها أي إنسان، لأنها حقيقة إلهية صرفة. وما لم يعلن الله للإنسان عن هذه الحقيقة فمن الصعب جداً علينا كبشر أن نصل إلى هذه المعرفة. ولهذا لم يكن غريباً أن يمتدح المسيح بطرس من أجل قوله هذه الحقيقة أن المسيح هو ابن الله الحي. لكن ما هو المقصود بهذه العبارة؟ هل هذا يعني أن الله الخالق العظيم قد تزوّج وأنجب ابناً؟ بالطبع ألف حاشا وكلا. فالمسيحية لا تؤمن أن الله أنجب ابناً. وعلينا أن نبتعد عن مفهوم البنوة الجسدية لأن الله روح.

إن القول أن المسيح هو ابن الله، يعني أن المسيح وُلد من روح الله القدوس، وليس من زرع بشري. ولهذا نجد الملاك جبرائيل عندما أخبر العذراء مريم بولادة المسيح قال لها: «وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا وَتُسَمِّيَنَّهُ يَسُوعَ. هَذَا يَكُونُ عَظِيمًا، وَابْنُ الْعَلِيِّ يُدْعَى، وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الْإِلَهَ كُرْسِيِّ دَاوُدَ أَبِيهِ». وعندما تساءلت العذراء مريم كيف سيتم الأمر وهي لا تعرف رجلاً، أجابها الملاك قائلاً: «الرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكَ، وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تَطَّلُوكَ، فَلِذَلِكَ أَيْضًا الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكَ يُدْعَى ابْنُ اللَّهِ» (بشارة لوقا ١: ٣١-٣٢، ٣٥). لنلاحظ قول الملاك لها عن المولود منها أنه يُدعى ابن العلي، ثم قوله لها أنه يُدعى ابن الله.

مستمعي الكريم، اتضح لنا أن تعبير «ابن الله» ليس المقصود به كما يظن البعض البنوة الجسدية، بل هو تعبير يشير إلى تجسّد كلمة الله الأزلي بواسطة روح الله القدوس. وباستطاعتنا القول أيضاً انه ابن الله الوحيد، لعدم وجود أبناء لله غيره. فهو الوحيد الذي وُلد من روح الله القدوس. ولهذا نقول أنه ليس كُفراً أن نقول عن المسيح أنه ابن الله الحي، أو ابن الله الوحيد، إذ هذه هي الحقيقة بعينها. وكون المسيح هو ابن الله يعني أنه يحمل الطبيعة الإلهية في جسده. ولهذا كان المسيح وهو الذي نزل من السماء، إنساناً كاملاً بكل ما تعنيه هذه الكلمة، ولم يفعل خطيئة البتة.

وفي نفس الوقت كان المسيح هو ابن الإنسان، أي يحمل الطبيعة البشرية كغيره من البشر، لكن من دون خطيئة. ولهذا وصف نفسه أنه ابن الإنسان. ولنلاحظ أنه سأل تلاميذه في البداية قائلاً: «مَنْ يَقُولُ النَّاسُ إِنِّي أَنَا ابْنُ الْإِنْسَانِ؟» فهو لم ينكر البتة أنه ابن الإنسان أيضاً. لهذا إن المسيحية تؤمن أن المسيح كان يحمل الطبيعتين الإلهية والبشرية، فهو ابن الله الحي الوحيد، وهو ابن

الإنسان. وبهذا المعنى إنه يختلف بالكلية عن باقي الأنبياء والرسل. فلا يوجد أي نبي أو رسول يحمل الطبيعة الإلهية أو ولد من روح الله القدوس. ولهذا إن المسيح هو أعظم من الجميع.

هل تعلم مستمعي أن كون المسيح هو ابن الله الوحيد وابن الإنسان في آن واحد، قد جعله أهلاً لكي يفتدي البشر؟ فهو الوحيد البار الذي لم يفعل خطيئة، واستطاع بالتالي أن يقدم جسده فدية على الصليب نيابة عنا نحن البشر الخاطئة. أي مات على الصليب أخذاً عقاب خطايانا عوضاً عنا لكي يمنحنا الغفران الكامل. ولهذا نقول أيضاً أن المسيح هو المخلص الوحيد الذي يجب أن نؤمن به لكي نحصل على خلاص الله الكامل. وهكذا مستمعي عندما تؤمن بالمخلص المسيح ويعمله الكفاري على الصليب، تحصل على غفران الله لذنوبك، وتصبح من أولاد الله، وتنال الخلود. فهل تود أن تؤمن بالمسيح المخلص ابن الله الوحيد؟